دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي
إدارة الإفتاء والبحوث - قسم البحوث

ردود وشبهات

في أربع رسائل مهمة

١- شجرة الرضوان .

لفضيلة الشيخ / إسماعيل عثمان الزين المكي .

٢- مفهوم التبرك في ضوء الكتاب والسنة .

لفضيلة الشيخ / محمد مسعود الزليتني .

٣- الرد على من منع التوسل والتبرك .

لفضيلة الشيخ الدكتور / عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري .

٤- الرد على من أنكر سماع الموتى .

لفضيلة الشيخ الدكتور / عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري .

دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي
إدارة الإفتـــاء والبحـــوث
قسم البحوث

ردود وشبهات
في أربع رسائل مهمة

١ - شـــجـــرة الـرضـــوان.
لفضيلة الشيخ / إسماعيل عثمان الزين المكي

٢ - مفهوم التبرك في ضوء الكتاب والسنة.
لفضيلة الشيخ / محمد مسعود الزليتني

٣ - الرد على من منع التوسـل والتبرك.
لفضيلة الشيخ الدكتور / عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري

٤ - الـرد علـى من أنكـر سمـاع الموتـى.
لفضيلة الشيخ الدكتور / عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـد:

فهذا كتاب يضم مجموعة من الرسائل المهمة لنخبة من علماء الأمة الإسلامية حول قضايا مهمة يثيرها بعض الناس بين الحين والآخر، مع العلم أن الأمة انتهت منها، وهي ثابتة مقررة في كتب أهل العلم. وما إثارتها في هذا العصر الذي تكالبت فيه الأمم على أمة الإسلام إلا خدمة لأعداء الإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون وتشكيكاً في عقائد أهل السنة والجماعة وما كان عليه الأئمة الثقات. وهذه الرسائل هي:

١ - شجرة الرضوان.

٢ - مفهوم التبرك في ضوء الكتاب والسنة.

٣ - الرد على من منع التوسل والتبرك.

٤ - الرد على من أنكر سماع الموتى.

وقد ناقش هؤلاء العلماء هذه القضايا مناقشة علمية على ضوء النصوص من الكتاب والسنة وكلام الأئمة الثقات بكل موضوعية وإنصاف، إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل، وقياماً بأداء الواجب المنوط بأهل العلم أن يبينوا الحق للناس في مثل هذه الأمور التي ينازع فيها بعض الناس ويريدون أن يفرضوا آراءهم على الأمة محذرين من الابتداع في الدين وهم أول من ابتدع.

والشكر لكل من السيد محمد ابراهيم محمد عمران والسيد العايش بن محمد هادي (بقسم البحوث) على ما بذلاه من جهد في تخريج الأحاديث والتصحيح والمراجعة.

ونسأل المولى عز وجل أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل أسباب الشقاق والخلاف فيما بينهم وأن يرزقهم اتباع الحق ويجنبهم اتباع الهوى والزلل.

إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

إدارة الإفتاء والبحوث

بدائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي

الرسالة الأولى :

شجرة

الرضوان

لفضيلة الشيخ/إسماعيل عثمان الزين المكي

(شجـرة الرّضـوان)

هذه الشـجـرة المبـاركـة هي التي بايع النبي صلى الله عليـه وسلم تحتها خمس عشرة مائة من المسلمين على الجهاد في سبيل الله[1] فتقبلها الله قبولا حسنا فقال في كتابه الحكيم ﴿لقد رضي اللهُ عن المؤمنين إذ يبايُعونك تحت الشجرة﴾ [سورة الفتح: آية ١٨] ولهذه الفضيلة العظمى ورضوان الله عنهم تحتها، سماها الناسُ شجرة الرِّضوان، ووقعت هذه البيعة سنة ست من الهجرة النبويّة.

إلى متى بقيت الشجرة وما فُعِلَ بها ؟

التحقيق في ذلك أن في صحيح البخاري - الذي هو أصح الكتب عند عامة العلماء - عن ابن عمرَ ووالد سعيد بن المسيّب أن الشجرة قد عَمِيَتْ علينا في السنة الثانية من البيعة ولم نجدها بعدُ[2].

قال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع قال: قال ابن عمر: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا

---

(١) البخاري ٧/ ٤٤١ رقم (٤١٥٢) في المغازي باب غزوة الحديبيه.

(٢) البخاري ٧/ ٤٤٧ رقم (٤١٦٣ و٤١٦٤).

اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله. [البخاري الجزء الأول صحيفة ٤١٥][1].

وقال سعيد بن المسيّب عن أبيه: فلما خرجنا من العام المقبل أتيناها فلم نقدر عليها[2]. [البخاري الجزء الثاني صحيفة ٥٩٩] وهي رواية طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب.

أما رواية شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب فهي قوله[3]: لقد عميت الشجرةُ ثم أتيتها بعد فلم أقدرها [قال محمود[4]: أُنسيتها بعد] وبعد مدة بنى عندها الناسُ مسجداً يُصَلُّون فيه، فبلغ ذلك ابْنَ المسيّب فقال: إنَّ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم!.

فليمعن القارئُ النظر في هذه الروايات وليَعْلَمْ هل كان ذلك النسيانُ والخفاءُ مُخْتَصاً بعبد الله بن عمر، وَوَالد

---

(١) أخرجه البخاري باب البيعة في الحرب - كتاب الجهاد، رقم (٢٩٥٨).

(٢) البخاري ٧/ ٤٤٧ رقم (٤١٦٣).

(٣) أي والده: المسيب ابن حزن.

(٤) وهو ابن غيلان أحد شيوخ البخاري انظر فتح الباري ٩/ ٤٥٦ كتاب المغازي.

سَعيد بـن المسيّـب، أم قـد خفيـت عــن عامـة الصحابـة[1]؟ إنَّ العمومـات فـي حديـث عبد اللـه وصيغـة الجمـع الــواردة بهـا تستـدعى العمـوم، والجمعَ المضاف في قول سعيد بن المسيب [أصحاب محمد] يستدعي الاستغراق طبقا لقواعد المعاني والأصول، وأصل هذه الرواية أن الشجرة قد اختفت على عامة أصحاب النبـي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعيين.

وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه أنه يقولُ: لوكنت أُبْصرُ اليوم لأريتُكم مكان الشجرة[2]. فظنَّ الحافظُ ابنُ حجر من هذه الرواية أنَّ الشجرَة لم تَخْفَ عن العامة، وجابر رضي الله عنه كان يعرفها.

ولكن هذه الشبهةُ لا يعبأُ بها فإن جابراً قال: لأريتكم [مكان] الشجرةِ لا الشجرةَ بعينها، وعِلْمُ مكان الشجرة شيءٌ آخرُ غيْرُ معرفةِ نفس الشجرة، فلا تعارض بين روايات جابر وابْنِ عُمرَ ووالد ابن المسيّب، ولو فرضنا التعارض لرجَحَ قولُ ابن عمر فإنَّ ابْنَ عمر كان أعلمَ الصحابة بآثار النبي صلى الله

---

(١) نفس الموضع.

(٢) البخاري ٧/ ٤٤٣ رقم (٤١٥٤).

عليه وسلم[1]، وكان يُفَتِّشُ عن آثاره ومواطن قدميه، ومواضع جُلوسه وغيرِ ذلك، وكان يتبركُ بتلك المواضع كما في عامة كتب الرجال وشروح الموطأ[2]. وعن نافع أن ابْنَ عمر كان يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فكان عبدُ الله يتعاهدُ تلك الشجرةَ، واستتارُ هذه الشجرة وخفاؤها كليةً كما ثبت بعبارة النصّ [الذي] ذكره الكرماني في الكواكب الدّراري والعيني في عمدة القارئ والشيخ نور الحق في تيسير القارئ.

ففي شرح العيني على صحيح البخاري الجزء(٨) صحيفة ٢٨٤ قوله: [فعميت علينا] أي: استترت وخفيت، وكأنَّ سببَ خفائها أن لا يفتتن الناس[3].

---

(١) في فتح المنعم على زاد المسلم للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ٣/ ٤٣٨ ط دار الفكر: تتبُّعُه لآثار النبي صلى الله عليه وسلم نقلا عن الزبير ابن بكار، بدون النَّصِّ على الشجرة، قال: وكان يتبع آثاره في كل مسجد، وفي تذكرة الحفاظ عَزْوُ ذلك لنافع وأنَّه تتبَّعَ آثاره وأفعاله حتى كأنه خيف على عقله. اهـ. من التذكرة ١/ ٣٩ ط دار إحياء التراث العربي ومنْ شرح الزرقاني على الموطأ ٣/ ٢٢٠ طبعة مصطفى البابي بمصر ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

(٢) في الموطأ رقم (٩٢٣) صلاة المعرَّس والمحصَّب.

(٣) وتتمة الكلام من عمدة القارئ للعيني ١٧/ ٢٢٠: بها لما جرى تحتها من الخير ونزول الرضوان.. ط دار الفكر بيروت.

وقال الشيخ نور الحق في حديث جابر: فظهر أن الشجرة ما كانت في تلك الساعة موجودةً، وأيَّدَ هذا الشاهْ عبد العزيز الدهلوي في فتاواه وتعجب من تأويل ابن حجر.

هل قطعَ الشجرة عمر أوأمر بقطعها رضي الله عنه ؟

هذه الكلمة تداولتها الألسنُ من غير تفكر في صِحتها وسُقْمها لا فرق في ذلك بين العالم وأخي الجهل والهوى، فإن كُلَّهُمْ لما سُئِلوا عن الآثار والمقابر وتعظيمها الشرعي قالوا: هذا كله يُفضي إلى الشرك، ألا ترى أن عمر رضي الله عنه قطع الشجرة التي بايع الناسُ تحتها على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسماً لمادة الشرك، فاعلم أن ما نسب لعمر رضي الله عنه من أمر القطع لا أصل له لوجوه، عديدة نذكرها:

الأول: أن هذا يخالفُ رواية البخاريِّ الصحيحةَ فإنَّها تَدُلُّ على خفائها واستتارها عن عيون الناس، كما قلناه آنفاً، فكيف يتأتى قطع الشجرة؟.

والثاني: إن أردنا من قـول جـابر المعنى الذي أراده ابنُ حجر أن هذه الشجرة كانت باقية إلى آخر عمره أي نحو سنة ٧٨ من الهجرة فهذا أيضاً لا يفيدُ المطلوبَ فإن رحلة عُمَر كانت سنة ٢٣ من الهجرة[١].

والثالث: أن من ذَكَرَ هذه الروايَة ذكرها من طبقات ابن سعد، وروى ابن سعد في طبقاته حديث ابن المسيّب [أي حديث الاستتار المذكور] بطرق عديدة ثم في آخرها رواية القطع عن نافع، قال فيها: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا عبد الله بن عون عن نافع، قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرةُ الرضوان فيُصَلُّون عندها فبلغ ذلك عُمَرَ بنَ الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت[٢].

هذه الرواية مدارُ ما نُسِبَ إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وإنه أثرٌ منقطعٌ لا يُحْتَجُّ به عند أهل الحديث، والانقطاعُ

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٣ ط الرابعة مطبعة الفجالة الجديدة مصر ١٣٨٩هـ.

(٢) طبقات ابن سعد ٢/ ٧٢ (ط الشعب).

ظاهرٌ لا مرْيةَ فيه، فإن نافعاً لم يُدْرِكْ عمر وما لَقِيهُ ولا روى عنه، وكشْفُ تلك الغُمَّة أنَّ نافعاً مولىً لعبد الله بن عمر، ووجده ابْنُ عمر في غَزْوَةِ الدَّيْلَم، أو الطالَقان، أو كابل، والمدة بين تلك الغزوات وزمان عمر رضي الله عنه مديدةٌ طويلةٌ، ونافعٌ قد عُمِّرَ وتوفي سنة ١٢٠هـ وصحب ابن عمر ثلاثين عاماً - وتوفي ابن عمر سنة ٧٣هـ [تذكرة الحفاظ][1] - ويروي عن عبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وأبي لبابة، ورافع بن خَدِيج، وعائشة، وأم سلمة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم من الصحابة، ولم يدرك أيام عمر، فما معنى روايته عنه؟ انظر التاريخ الصغير للبخاري والطبقات لابن سعد وتهذيب التهذيب الجزء الاول صحيفة ١٢ والتقريب وعامة كتب الرجال والتاريخ لابن خلكان[2]، ولذا قال الشراح في حديث مالك عن نافع، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب... إلخ

---

(١) ١/ ٤٠ ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ١/ ٢٨٣ وطبقات ابن سعد ٩/ ١٦٢ (المخطوط) والكامل في التاريخ ٥/ ١٩٥ وسير أعلام النبلاء ٥/ ٩٥ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٢.

المذكـور في الموطأ في صـدر البـاب بعـد روايات : إن الحـديث منقطـع، فـإن نافعـاً لـم يدرك عمر . وانظر شرح الموطأ للشيخ سلام الله الدهلوي الحنفي - غير مطبوع - وشرح الزرقاني طبع مصر[1].

من هـذا يعلـم القـارئُ تناقضَ هذه الرواية وكـونَهـا غـيـرَ مقبولة .

واعلم أن هذا الأثر أولى أن لا يقبل عند أئمة الحديث فإن عندهـم المراسـيلَ والمنقطعـات كـلٌّ هذه ليـست بحـجـة، والأثر الذي رُوِيَ عن نافع في الطبـقـات خـلافُ مـا يُرْوى عنه في البخاري عن ابن عمر، ورواةُ البخاريِّ كلهم رواةٌ أثباتٌ ثقاةٌ، وفي رواة الطبقـات عبـد الوهاب بن عطاء وهـو ليس بقـويٍّ عند البخاري، وفي تهذيب التهذيب الجزء الثاني صحيفة ٥٥١ [ليس بالقـويِّ عندهم] وفي التـقريب صحـيفة ٢٤١ قال الحـافظ : إنه صـدوق وربما أخطأ[2]، ولأجل ذلك لم يرو عنه البـخـاري ولا

---

(١) شـرح الزرقـاني على الموطأ ١/ ٣١ مطبعـة مـصطفى البـابي ط ١/ ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

(٢) تهـذيب التـهـذيب ٢/ ٦٣٩ ط مـؤسـسـة الرسـالة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م بعـناية إبراهيـم الزيبق، عادل مرشـد، تقـريـب التهذيب ٣٦٨ رقـم الترجمـة =

مسلم في صحيحيهما ولم يعتنِيا به، وشتان بين البخاريِّ وبين كاتب الواقدي.

فيا من يعزو إلى حكيم الأُمة أميرِ المؤمنين عمرِ بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يهدم الآثار وينهى الناسَ عن الصلاة في الآثار وحرقَ دار كتب الإسكندرية، وغير ذلك من الخرافات والأباطيل، ألا تنظرون كيف كان أميرُ المؤمنين يعظِّمُ آثارَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام! وكان يتمنَّى أن يُتَّخَذَ مقامُ إبراهيم مصلى [أي آثار قدميه] فلبَّى الله دعوته فقال: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلىً﴾ [سورة البقرة: آية ١٢٥] [وقال عمر رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري الجزء الأول صحيفة ٥٨ والجزء الثاني صحيفة ٦٤٤] قلتُ: يارسول الله لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مصلىً فنزلت[1]. وقال الكرماني في الكواكب، والخطابي: سأل عمرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يجعلَ مكان الحجر الذي فيه أثَرُ مقامه بين يديْ القبلة يقوم الإمامُ بجواره، فنزلت الآية.

فالذي كان يُعظِّمُ مقامَ إبراهيم هذا، كيف لا يُعظِّمُ مقام

= ٤٢٦٣٠ طبعة دار الرشيد - سوريا - حلب ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م تقديم ومقابلة محمد عوامة.

(١) صحيح البخاري ١/ ٥٠٤ رقم (٤٠٢) كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقطعُ شجرةً بمحض وهْمِ الشرك؟ وخوْفُ الشرك في مقام إبراهيم كان أشدَّ من غيره فإن عبدَةَ قوم إبراهيمَ كانت هناكَ موجودة والمسلمون كانوا حديثي عهْدٍ بالإسلام، خلافَ أيام عمر فإنها كانت من القرون الذهبية الزاهرة في الإسلام، وكان الإسلام قد رسَخَ في أعماق قلوبهم وصاروا قد يمي العهد به، وراية الإسلام تخْفِقُ في كلِّ ناحية من الأنحاء، ذلك عهدٌ قد تحقَّقَ فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم [إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب][1] لأنهم كانوا في أمْنٍ من الشرك، وكان عمر رضي الله عنه يُبقي كلا من سنن الرسول وآدابه صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرمل في الطواف ليريَ المشركين شدةَ الإسلام وصولتَه، فلا يظنوا أنهم ضعفاء، فكان عمر رضي الله

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه ٤/ ١٢٦ط دار صادر، وفي نسخة شعيب الأرنؤط ٢٨/ ٣٢٣ رقم (١٧١٤٠) وقال إن إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وعزاهُ للطبراني في الكبير (٧١٣٩) والحاكم ٤/ ٣٢٩ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٦٨ - ٢٦٩، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٦٨٤٤) وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٠ - ٢٢١ وقال: إنَّ شهر بن حوشب وثقه أحمد وغير واحد وبقية رجاله ثقات.

عنه يقول في زمنه: (إن الحاجة ليست بداعية إليه الآن، إنه لم يبق ثمة الكفار ولم تكن للمشركين بقية في الجزيرة، ولكنْ هذا عملٌ عمله النبي صلى الله عليه وسلم فلن أتركه)، فإبقاء عمر عملاً لا حاجة إليه إنما هو لحرصه على أثر الرسول صلى الله عليه وسلم تبجيلا وإجلالاً. وبعد تعظيم عمر لآثار الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته ـ كما تقدم ـ كيف يُتَّهَمُ بقطع الشجرة؟.

انتهى ما وجدته من الكلام على هذه المسألة العظيمة، والفائدة الجسيمة، وقد أشرق بذلك نور الحق والصواب، وزالت غشاوة شبهة الباطل عن القلوب والألباب، والحمد لله ربِّ العالمين أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين.

الرسالة الثانية:

مفهوم التبرك وحكمه في ضوء الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ/محمد مسعود الزليتني

مفهـوم التبـرك
وحكمه في ضوء الكتاب والسنة

محتويات البحث

١ – البركة في اللسان العربي .

٢ – الله عز وجل يصف نفسه وأسماءهُ – وصفاته بالبركة .

٣ – أشخاصٌ باركهم الله تعالى .

٤ – أمكنةٌ وأزمنة مباركة .

٥ – أشياء أخرى باركها الله تعالى .

١ – أدلة جواز التبرك من الكتاب

أ – تابوت بني إسرائيل .

ب – قميصُ يوسف عليه السلام .

ج – دعاء زكريا عليه السلام عند المحراب .

٢ – أدلة جواز التبرك من السنة

أ – النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك .

ب - أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبركون بنبيهم وآثاره صلى الله عليه وسلم.

ج - التابعون بإحسان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبركون بقبور الصالحين وآثارهم.

مستند المانعين للتبرك

١ - شبهة ساقطة واهيةٌ.

ب - كلمة أخيرة.

البركة في اللسان العربي

البركة ـ كما جاء في قواميس اللغة ـ: النماء والزيادة، وقد يرادُ بها الكثرة من الخير، ويراد بها أيضاً الثبات والدوام، تقول: تبارك الله، لثبوته أزلاً وأبداً على ما هو عليه سبحانه، وبرك البعير إذا أناخ في المكان ولزمه.

وتقول: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد. . أي أدم له ما أعطيته وأجريته عليه من الفضل والتشريف والتكريم والتعظيم.

والتبريك: الدعاء بالبركة، تقول: برّكتُ عليه أي قلت له: بارك الله عليك.. وتَقول: بارك الله فيك ولك وعليك، وتبرك به أيضاً تيمَّن.

وهي من الكلمات القرآنية التي وردت مادتها في كتاب الله عز وجل كثيراً..

الله عزوجل يصفُ نفسه بالبركة

١ - لقد وصف الحقُّ تبارك وتعالى نفسه بالبركة فقال ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [سورة الملك: آية ١] والبركة هنا الثباتُ والدوامُ على ماهو عليه سبحانه من تدبير أمر الملك خلقاً ورزقاً وتقديراً وتدبيراً..

٢ - كذلك وصف الحق تبارك وتعالى نفسه بالبركة في معرض العطاء، والعطاء الإلهي في كل ميدان لاحَدَّ له ﴿كُلاً نُمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاءُ ربِّك محظُوراً﴾ [سورة الإسراء: آية ٢٠] ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [سورة لقمان: آية ٢٠] ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [سورة النحل: آية ١٨].

٣ - حينما خلق الله الإنسان طوراً بعد طور، وتفضل عليه بنعمة الوجود، ومَنحه من مواهب الفضل ما منحه، وأخرجه من ظلمات العدم إلى نور الوجود بشراً سوياً سميعاً بصيراً، وصف نفسه بالبركة فقال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناهُ خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [سورة المؤمنون: آية ١٤].

وحينما أنعم على عباده بنعمة النور الحسي، الذي هو قوام حياتهم المادية، وصف سبحانه نفسه بالبركة فقال تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ [سورة الفرقان: آية ٦١].

وحينما أفاض على عباده نعمة النور المعنوي، الذي هو قوام حياتهم الروحية والمعنوية، وصف سبحانه نفسه بالبركة فقال تعالى: ﴿تبارك الذي نَزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ [سورة الفرقان: آية ١] والفرقان الذي نزَّله هو القرآن، الذي يهدي إلى كل طرق الإصلاح والخير التي هي أقوم، والنور

الذي يضيئ النفوس والقلوب والعقول. . قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [سورة النساء: آية ١٧٤].

٤ - كذلك وصف الحق تبارك وتعالى أسماءه الحسنى بالبركة لأنها مصدر الخيرات والبركات، فالكون كله من أوله إلى آخره، والوجود جميعه من ألفه إلى يائه، إنما هو فيض صفاته، وأثر أسمائه تعالى الحسنى، قال عز وجل: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [سورة الرحمن: آية ٧٨].

٥ - كما وصف الحق جَلَّ وعلا بالبركة المكان الذي تجلَّى فيه على بعض عباده من المصطفين الأخيار، وكلَّمه فيه، يَقُول تعالى في حق موسى الكليم عليه السلام: ﴿ونودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾ [سورة القصص: آية ٣٠].

لقد كان موسى عليه السلام عند نبي الله شعيب ﴿ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله﴾ [سورة القصص: آية ٢٩] إلى مصر وطنه ومسقط رأسه، وفي الطريق وفي ليلة شاتية باردة مظلمة آنسَ موسى عليه السلام ﴿من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثواْ﴾ [سورة القصص: آية ٢٩].

ولما كان هذا التعبيرُ موهماً للتشبيه عدل الأسلوب القرآني الفصيح إلى التنزيه المطلق لينتشل العقل الإسلامي والتصور الإنساني من وحل التشبيه الذي وقع فيه حشوية هذه الأمَّةِ وليخلص الضمير الإيماني من حمأة الحلول والمكانية والحد فقال تعالى: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله ربِّ العالمين﴾ [سورة النمل: آية ٨] نعم، عبَّر النصُّ القرآني بالتنزيه ليخلص عقل المسلم وفكره من سجن التقييد إلى فضاء الإطلاق اللائق بالذات المقدسة.

فالحق جل في علاه تقدس عن الجهة وعن المكان وعن الزمان وعن كل وصف يصفه به عباده: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ [سورة الصافات: آية ١٨] ﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى: آية ١١]، سبحانه لا يحصره الزمان، حاشاه، ولا يحويه المكان، ولا تحويه الجهةُ.. كل ذلك مخلوق لله تعالى، وقد كان قبل خلق الزمان والمكان ولا يزال سبحانه وتعالى على ما هو عليه كان.

تعالى الله عن قُربٍ وبُعْدٍ
وعن قدْرٍ يُقَدَّرُ بالمكان

وجـل بـذاتـه عـن كُـلِّ وصْـفٍ

يمثَّلُ للعــقــول وللعــيــان

فــلا الألحــاظُ تدْركُــه تعــالى

ولا تحكيــه ألفــاظُ اللِّســان

فــــذلك كُلُّه في الـله يفْنَى

ويبــقى اللــهُ خــالقُ كلِّ فــان

وكما وصف الحقُّ نفسه وأسماءه بالبركة، كذلك وصف بالبركة كتابه فقال: ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٢].

والكتاب الموصوف بالبركة هو القرآن فهو مأدبة الله تعالى.. التي حَوَتْ كل شيء: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [سورة الأنعام: آية ٣٨]. هو الكنز الذي لا يفنى عطاؤه في كل ما تطلب وترغب، لا تشبع منْهُ العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تفنى عجائبه ولا يخلق عنْ كثرة الرَّدِّ.

أشخاصٌ باركهم الله تعالى

بارك الله في قرآنه كثيراً من الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين وعلى سبيل المثال:

١ - نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك..﴾ [سورة هود: آية ٤٨] فنوح عليه السلام هو أبو البشر الثاني، ومن بركات الله عليه أن جعل عمارة الأرض في ذريته بعد الطوفان.

٢ - إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ [سورة الصافات: آية ١١٣] ومن بركات الله عليهما أنه جعل في ذريتهما الملك والنبوة.

٣ - عيسى عليه السلام ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ [سورة مريم: آية ٣١] ومن بركات الله عليه أنه كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويشفي من معضل الأمراض، كما أنه كان كثير البر معلما الناس الخير.

٤ - كما أمرنا الله سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن نُبارك على محمد وعلى آل محمد، إذ أمرنا أن نقول في كل صلاةٍ بعد التشهد: وبارك على محمد وعلى آل محمد.

أمكنة وأزمنة باركها الله

كما بارك الله تعالى أماكن في الأرض المقدسة، أفاض الله سبحانه عليها من بركاته وأسراره، مثل:

١ - المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين﴾ [سورة آل عمران: آية ٩٦] ويكفي من بركاته: أن صلاةً فيه بمائة ألف صلاة.

٢ - المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ [سورة الإسراء: آية ١] ويكفى أن منطقة المسجد الأقصى هي مهد النبوات وموطن الرسالات، وأن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة.

كذلك بارك الله تعالى أوقاتاً وأزماناً مُعينة، مثل:

ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [سورة الدخان: آية ٣] . . والمراد بهذه الليلة هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآنُ، ومن بركاتها: أنها خيرٌ من ألْف شَهْرٍ.

أشياء أخرى باركها الله تعالى

كما بارك الله أشياءَ كثيرة مما خلق، وعلى سبيل المثال:

١ - ماء المطر النازل من السماء.. قال تعالى: ﴿ونَزَّلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾ [سورة ق: آية ٩] .. ومن بركات هذا الماء أنه يروي الأنفس، ويحيي الأرض وينبت الفواكه والثمار والحب الصالح للغذاء... إلخ.

٢ - شجرة الزيتون، قال تعالى: ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾[سورة النور: آية ٣٥] فزيتها أنقى وأصفى أنواع الزيوت، وهو إدام طيب، قال تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ [سورة المؤمنون: آية ٢٠]. . ودهان للجسم يزيل الأمراض، ويبرئُ من العلل، قال صلى الله عليه وسلم: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنَّه من شجرة مباركة». أخرجه الحاكم والترمذي[١].

٣ - التحيةُ التي يُحيى بها المسلم أخاهُ المسلم: وصفها الله

---

(١) الترمذي ٤/ ٢٨٥ كتاب الأطعمة بابُ ما جاءَ في أكل الزيت حديث رقم (١٨٥١) الحاكم ٢/ ٣٩٨ كتاب التفسير من طريق أبي أسيد رَضي الله عنه وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

تعالى بالبركة، لأنها تزيد في الحب، وتنمي الودَّ بين عباد الله، قال تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيُوتاً فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً﴾ [سورة النور: آية ٦١].

وهذا الذي ذكرناه من أمْرِ البركة واضحٌ جليٌّ، لا يحتمل تأويلاً ولا يقبل اعتراضاً ولا ينكره إلا كل خارجٍ عن حدود الشرع والعقل، ولا يمارى أو يشكك فيه إلا كل متعنت مشاغب جهول..!!

ولكن لقائل أن يقول: إن ما ذكرت لا غبار ولا اعتراض عليه، ونحن نسلم لك بكل ما ذكرت ولكن الذي يهمنا: التبرك بمعنى التماس البركة من الغير كالأنبياء والصالحين وآثارهم، والأماكن والأبنية المقدسة، ما حكمه في شرع الله؟

وإذا كنتم تقولون بجوازه فما هو الدليل عليه من الكتاب أو السنة؟ ونقول: التبرك بالغير.. أمر جائز وهو من الأمور المعلومة في الدين، وقد أثبته القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية المطهرة الصحيحة.

أدلة الجواز من القرآن الكريم

تابوت بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿إن آية مُلكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينةٌ من ربكم وبقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٨]. . وخلاصة القصة:

أن جماعة من بني إسرائيل، لم يحدد القرآن مكانهم ولا زمانهم، دهمهم العدو، وكان واجب العزة والكرامة والإيمان أن يقفوا في وجه العدو دفاعاً عن أنفسهم، وذَوداً عن أعراضهم، وحمايةً لعزتهم وكرامتهم، ولكنهم جبنوا وهابوا لقاء العدوِّ، وفروا من وجهه هاربين تاركين وراءهم وطنهم وديارهم لأعدائهم. . !!

فكانت النتيجة أن ضَربَ الله عليهم الذلة والمسكنة جزاءَ جُبنهم ونكوصهم. . . قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٣].

قال لهم الله: موتوا. . أي موتاً تأديبياً بالذلِّ والمهانة، فإن حياةً بغير كرامةٍ الموتُ أهونُ وأشرفُ منها. . ثم أحياهم الله بأن

بَثَّ فيهم نخوة العزة، وأحيا فيهم رُوحَ الجهاد. . ﴿فقالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله. . . ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٤] فقال لهم نبيهم: ﴿إن الله قد بعثَ لكم طالوتَ ملكاً﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٥] واليهود كما يعرف الجميع قومُ مراوغة ومُجادلة. . وبعد محاورة مع نبيهم في شأن طالوت، قال لهم نبيهم: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقيةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارون تحمله الملائكة﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٦].

وكان التابوت سابقاً في بني إسرائيل إذا تقدموا للقاء العدو جعلوه بين أيديهم يتبركون به، ويتوسلون إلى الله بما فيه أن يحقق لهم النَّصْرَ. . فتَتِم لهم الغلبة على العدوِّ ويتحققُ النصر. . ثم لفسقهم وفجورهم ذهب التابوت من بين أيديهم ولم يعرفوا أين ذهب!! فقال لهم نبيهم مطمئناً لهم، ومثبتاً لفؤادهم، وقاطعاً لجدلهم في شأن ملكهم طالوت: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٨].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في بيان مفهوم السكينة،

والذي تطمئن إليه النفس أن المراد بالسكينة طمأنينة القلوب وسكون النفس ثقةً بنصر الله.

وأما «البقية» التي تركها آلُ موسى وآلُ هارون والتي كانت في التابوت يتبركون بها فقد قال المفسرون: رضاضة الألواح.. وعصى موسى.. وثيابه ونعله.. وثياب هارون، قيل: وعصاه..[1].

القوم إذن وبنص القرآن يتبركون، لا بأنبيائهم وإنما بآثار الأنبياء؛ بعصى موسى وثيابه، بل وبنعله، فماذا يقول المنكرون للتبرك في هذا؟!.

قميص يوسف عليه السلام:

قال تعالى ـ حكاية عن يوسف عليه السلام ـ: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ [سورة يوسف: آية ٩٣].

وقصة يوسف مع إخوته حينما كادُوهُ ورموا به في الجب.. يعرفها الجميع، والذي يهمنا الآن منها:

---

(١) غرائب القرآن ٢/ ٣١٣.

هو أنه في نهاية المطاف التقى إخوةُ يوسف به عليهم السلام. . وتعارفَ الجميعُ بعضهم على بعْض، ورغِب يوسف الصديق عليه السلام في أن يجمع شمل الأسرة في مصر، في ظلِّ صاحب الأمر فيها: يوسف الصديق سلام الله عليه.

وكان قد عَرف من إخوته أن والده يعقوب عليه السلام قد ابيضت عيناه من الحزن وكثرة الهم، وطول البكاء فقال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيرا﴾ [سورة يوسف: آية ٩٣].

يا سبحان الله إنَّه قميص!! ومن وجهة النظر العادية ليس أكثر من قطعةِ قُماش، ولكنه قميص لاصَقَ جسدَ نبي، ولامَسَ بدَنَ رسول، فهو من وجهة نظر إيمانية يحملُ من الأسرار ما لا يعرفه إلا أصحاب البصائر النافذة، والكاشفة لما وراء عالم الحسِّ، إنَّه يحمل من الأسرار ما جعله يعيد إلى عيني يعقوب نورهما، وبمجرَّد وضْعه القميص على وجهه تم الشفاء، وعاد إليه الإبصار.

فماذا يقول المنكرون للتبرك في هذا؟!.

هـل قمـيصُ يوسف عليه السلام كـلامُ خُرافة، أو حديثُ هـوىً، أو قالةٌ مختلقَةٌ، أم أنه قرآن يتلى بلّغه لنا نبي معصومٌ ﴿ومـا ينطق عن الهـوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾؟! [سـورة النجم: آية ٣-٤].

مـلاحـظـة

هذا التـبرك الذي تحدث عنه القرآن بما تركـه آل موسى وآل هارون، وبقـميص يوسف حينما وضعه يعقوب عليهما السلام على وجهه: هو في الحقيقة توسل عملي بالذوات، وفيه أكبر الردِّ على الذين ينكرون هذا النوع من التوسل، ويُشَدِّدَون النَّكير على من يقـول به.. فـتـدبَّرْهُ وتأمله، هداك الله إلى الصـواب، ووفقك إلى اتباع الحقِّ والعمل به.

زكريا عليه السلام:

كانت السيدةُ مريمُ العذراءُ رضي الله عنها في المحراب ببيت المقـدس، فقد نذرتها أمُّها لخدمة البيت.. وكـان زكريا عليه السلام يقـومُ بكفالتها.. وكـان عليه السلام كلما دخل عليها المحراب ﴿وجد عندها رزقا﴾ [سورة آل عمران: آية ٣٧].

وجد عندها رزقا لم يأت به . . في حين أن لا يدخل على السيدة مريم سواهُ . . ويقال إنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، والعكس، فقال عليه السلام متعجباً: ﴿يا مريم أنىَّ لك هذا﴾؟ فتجيبه ﴿هو من عِنْد الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [سورة آل عمران: آية ٣٧].

هنالك - في هذا المكان بالذات لأنه مكانٌ مباركٌ، ولأنه تقيم فيه السيدة الطاهرة المباركة مريم، ولأنه تتجلَّى فيه بركات السموات وتظهر خوارق العادات - دعا زكريا عليه السلام ربه فقال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ [سورة آل عمران: آية ٣٨] وببركة هذا المكان استجاب الله دعاءه، ورغم شيخوخته وعقم زوجته جاءته البشرى ﴿فنادته الملائكة وهو قائمٌ يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى﴾ [سورة آل عمران: آية ٣٩].

هذا هو القرآن يحدثنا عن التبرك، في وضوح وجلاء، ويبين لنا أنه سنةٌ إيمانية سارية في المجتمع البشريِّ في كُلِّ عصوره، جاءت بها شرائع الله على امتداد الزمان والمكان، فما سر الجُمود وما مبرر الإنكار؟!!.

أدلة الجواز من السنة الشريفة

إذا اكتفينا بما ذكرناه من الأدلة القرآنية في جواز التبرك، وذهبنا نقلب صفحات السنة المطهرة فإنا سنجد فيها ما يُخْرس لسان كل معترض، ويسكت فم كل متقوّل، ويزيد المؤمن إيماناً، والمرتاب إيقاناً. . أما من كان على سَنَنِ الغاوين القائلين ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم﴾ [سورة الأنفال: آية ٣٢] فليس لنا معهم كلام أو صدام!!.

النبي ﷺ يتبرك

١ - النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بماء المطر.

عندما كانت تمطر السماء كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعرض للمطر ويتبرك بالماء المبارك النازل من السماء:

أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: أصابنا مطرٌ ونحنُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر ثوبه حَتَّى أصابه من المطر فقُلْنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟

قال صلى الله عليه وسلم: «إنه حديث عهد بربِّه»[1].

قال النووي في شرحه على مسلم: (ومعنى «حديث عهد بربه» أي بكوين ربه أياه، معناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها، فيُتَبَرَّكُ بها).

٢ - النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بما أصابته أيدي المسلمين.

روى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث إلى المطاهِر فيؤتى بالماء فيشرَبُهُ، يرجو بركة أيْدي المسلمين[2].

---

(١) أخرجه مسلم بكتاب صلاة الاستسقاء رقم (١٤٩٤) وأبو داود ٤/ ٣٢٦ رقم (٥١٠٠) ط المكتبة العصرية - صيدا - بيروت وأحمد بمسنده برقم (١١٩١٧ و١٣٣١٨).

(٢) الطبراني في الأوسط ١/ ٤٤٣ رقم (٧٩٨) تحقيق محمود الطحان قال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد ١/ ٢١٤ (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون، وعبد العزيز بن رواد ثقةٌ يُنسَب الى الإرجاء) وأخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٢٤٣ رقم ٤٩٧ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣١ رقم ٢٧٩١.

أصحاب النبي ﷺ يتبركون بنبيهم ﷺ

كما تبرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برسولهم عليه أفضل الصلاة والتسليم، تبركوا بجسده الشريف، بأعضائه الطاهرة وآثاره المباركة.

فجسده صلى الله عليه وسلم هو الجسد النوراني، موطن الأسرار، ومظهر الأنوار، ومهبط الرحمات، ومحل تنزل البركات.

١ - التبرك ببطنه صلى الله عليه وسلم:

في كتاب سبل الرشاد في سيرة خير العباد عن سواد بن عمر رضي الله عنه قال: أتيت رسوله الله صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق بخلوق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ورس؟ حُط حُط، وغشيني بقضيب في بطني فأوجعني فقلت: يا رسول الله، القصاص فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عنْ بَطْنه الشريف فأقبلتُ أُقبِّلُه فقلت: يا رسول الله، دعني أؤخرها شفاعة لي يومَ القيامة[1].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٥٠، البيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٤٨ ط دار الفكر، وأورده الحافظ في الإصابة ٥/ ٤٠ رقم (٣٨٠٦) وفي فتح الباري ٣/ ٣٩٤ ط محمد فؤاد عبد الباقي. ولسواد بن غزية الانصاري قصة مماثله يوم بدر.

٢ - التبرك بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم:

أخرج الإمام مسلم والترمذي في شمائله أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة جاءه خدم المدينة بآنيتهم، فيها الماءُ، فلا يأتونه بإناء إلا غمسَ يده الشريفة فيه، وربما كان ذلك في الغداة الباردة، فيغمس يده في الماء ولا يردهم خائبين[1]. بل وأكثر من ذلك فقد كان الأصحاب الكرام رضوان الله عليهم إذا لم يظفروا بيده المباركة تبركوا بيدٍ سعدت وشرفت بمسِّ يد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد قول القائل: لعلِّي أراهم أو أرى من يراهمُ..!!

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده قال: حدثنا سفيان بن عينية، عن علي بن زيد بن جدعان، قال ثابت البناني[2] لأنس بن مالك وابن جدعان يسمع: يا أنس مسست

---

(١) مسلم ٤/ ١٨١٢ رقم (٢٣٢٤) - نسخة محمد فؤاد عبد الباقي - وأحمد في المسند تخريج شعيب الأرنؤط ١٩/ ٣٩٢ رقم (١٢٤٠١) والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٣٣١.

(٢) ثابت بن أسلم البناني ليس من الصحابة وإنما هو من التابعين عدَّهُ الحافظ ابن حجر في التقريب (٨١٠) من الطبقة الرابعة وقال: مات سنة بضع وعشرين وله ستٌّ وثمانون.

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك؟ فقال: نعم، مَسسته بيدى فقال ثابت أرني يدك أقبلها[1].

٣ - التبرك بريقه صلى الله عليه وسلم:

أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ولدت أم سليم قالت لي: يا أنس انظر هذا الغلام، فلا يصيبن شيئاً حتى غدو به إلى النبي ﷺ يحنكه، قال: فغدوت فإذا هو في الحائط[2]...

وفي الإصابة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقرب ابن عباس رضي الله عنهما ويقول: إني رأيت رسول الله عليه وسلم دعاكَ فمسحَ رأسك، وتفل في فيك[3].

وفي الإصابة أيضاً عن سودة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١١١ - وفي نسخة شعيب الأرنؤط ط مؤسسة الرسالة - ١٩/ ١٤٦ رقم (١٢٠٩٤) وقال: إنه حسنٌ لغيره لضعف علي بن زيد بن جدعان وعزاهُ للدارمي (٥٠) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٤) من طريق سفيان بن عُيينةَ بالإسناد الوارد في المسند.

(٢) البخاري (٥٥٤٢) ومسلم (٢١١٩) واللفظ له.

(٣) الإصابة ٦/ ١٣ رقم (٤٧٧٢) نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

فيمن شهد فاطمة حين ضربها المخاض قالت: فوضعتْ ابناً فسرَرُته ووضعته في خرقة صفراء فقال ـ أي النبي صلى الله عليه وسلم ـ: ائتني به، فلففته في خرقة بيضاء فتفل في فيه وسقاهُ من ريقه[1].

٤ - التبرك بشعره وعَرَقِه صلى الله عليه وسلم وماء وضوئه.

لقد صح عند البخاري وغيره أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ازدحموا على الحلاَّق عند حلقه رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم واقتسموا شعره[2].

وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على ذلك ففي مسلم أنَّه لما حلق صلى الله عليه وسلم أعطى أبا طلحة شعره فقال: اقسمه بين الناس[3].

---

(١) الإصابة ٧/ ٧١٩.

(٢) مسلم رقم (٢٣٢٥) مسند أحمد تخريج الشيخ شعيب الأرنؤط ١٩/ ٣٩٣ رقم (١٢٤٠٠).

(٣) مسلم في الحج رقم (١٣٠٥) والترمذي في الحج، باب ما جاء بأيِّ جانب الرأس يبدأ حديث رقم (٩١٢) وأحمد ٣/ ١١١ ط دار صادر وأبو داود في المناسك (١٩٨٢) وابن حبان في صحيحه ٩/ ١٩١ رقم (٣٨٧٩).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على بيت أم سليم ينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم صلى الله عليه وسلم، ونام على فراشها فأتت فقيل لها: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائمٌ في بيتك على فراشك فعرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق وتعصره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ قالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا فقال صلى الله عليه وسلم: أصبت(١).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي جُحيفَة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهاجرة، فأُتي بوضوء فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، من أصاب منه شيئاً مسح به وجهه، ومن لم يصب منهم أخذ من بَلَلِ يد صاحبه(٢).

---

(١) مسلم ٤/ ١٨١٥ رقم (٢٣٣١) باب طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٢١ رقم (١٣٣١٠) والطيالسي (٢٠٧٨) ومنْ طريقه البيهقي ١/ ٢٥٤ عن عبد العزيز ابن أبي سلمة به، وأخرجه النسائي ٨/ ٢٦٥.

(٢) البخاري مع الفتح كتاب الوضوء رقم (١٨٧) ومسلم ١/ ٣٦٠ كتاب الصلاة باب سترة المصلي (٢٥٠).

وإني أتساءلُ كيف لا يتبركُ الأصحاب الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه الخيرُ كله؟ لقد كان الأبطال يأخذون من شعره الشريف يحملونه معهم تبركاً وتيمناً بالنصر في الحرب، والغلبة على العدو، كما كانوا يأخذون من ماء وضوئه صلى الله عليه وسلم تبركاً، وتيمناً وطلباً للشفاء من الداء، والعافية من المرض.

أخرج أبو يعلى والطبراني أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت معه قلنسوةٌ يوم اليرموك افتقدها فقال: اطلبوها، فلم يجدوها فقال: اطلبوها فوجدوها فإذا هي خَلَقَةٌ فقال: اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقْتُهم إلى ناحيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقني الله النصر على الأعداء[1].

---

(١) أبو يعلي ١٣/ ١٣٨ رقم (٧١٨٣) والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٣٨ والطبراني في الكبير ٤/ ١٠٤ رقم (٣٨٠٤) وأورده الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٤٩ وقد ألمح إلى هذه القصة في منظومة عمود النسب وأخبار أخيار العرب الشيخ أحمد البدوي الشنقيطي بقوله:

بشَعـــــرات لـلنبِّـــي أرهـبـــا
رُومـاً وفـارسـاً وسـاس العـربا إلخ

وأخرج البخاري ومسلم: عن جابر رضي الله عنه قال: مرضت فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبوبكر فوجداني قد أُغْمِيَ علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صَبَّ وضوءه علي فأفقْتُ[1].

٥ - التبرك بنُخامته ودمه وبوله صلى الله عليه وسلم.

لقد صحَّ عن عروة بن مسعود الثقفي فيما رواه البخاري وغيره أنه قال في نصيحته لقريش حين كان سفيراً بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية:

«أي قومِ والله لقد وفدتُ على كسرى وقيصر والنَّجاشي فما رأيت أحداً يعظم أحداً ما يعظم أصحاب محمد محمداً، إنه لا

= ومن الصحابة الذين نالوا ببركة النبيِّ صلى الله عليه وسلم انخراق العادة الصحابي الجليل عقبة بن عامر القضاعي الذي جاء المدينة مبشراً عمر بن الخطاب بفتح الشام فوصلها في سبعة أيام، ورجع منها إلى دمشق في يومين ونصف يوم، وذلك ببركة دعائه عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم طيَّ= المسافة له، وقصته في كتاب الرياض المستطابة، في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة للعلامة يحيى ابن أبي بكر اليمني ت ٨٩٣هـ ص ٢٢٥ط وزارة التعليم بقطر.

(١) البخاري مع الفتح كتاب الوضوء (١٩٤) ومسلم ٣/ ١٢٣٤ رقم (١٦١٦) كتاب الفرائض بابُ ميراث الكلالة.

يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدَلكوا بها وجوههم، ولا توضأ وضوءاً إلا اقتتلوا على وضوئه يتبركون به»[1].

وأخرج الحاكم والبيهقي والطبراني أن عبد الله بن الزبير أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله اذهب بهذا الدَّم فأهرقه حيث لا يراهُ أحد، فشربه عبد الله، فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم، يا عبد الله ما صنعت؟ قال: جعلته في أخفى مكان فقال صلى الله عليه وسلم: لعلَّك شربته، قلت: نعم، قال صلى الله عليه وسلم: ويلٌ لك من الناس وويل للناس منك[2].

وذكر القاضي عياض أن مالك بن سنان رضي الله عنه مَصَّ

---

(١) البخاري مع الفتح كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد حديث (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

(٢) الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٨) رقم (٦٣٤٣) ونسب الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير هذا الحديث ١/ ٣٠ إلي البزار والطراني في المعجم الكبير والبيهقي في الخصائص من السنن وقال: في سنده الهنيد بن القاسم ولا بأس به ولكنه ليس بالمشهور بالعلم، ورواه الطبراني والدارقطني من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه، وفيه «ولا تمسك النار». وقال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني والبزار باختصار ورجال البزار رجال الصحيح إلا هنيد ابن القاسم وهو ثقة).

دم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال صلى الله عليه وسلم: لن تمسه النار[1].

وأخرج الحاكم والدار قطني وأبو نعيم عن أم أيمن، رضي الله عنها قالت: قام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل إلى فخَّارة فبال فيها، فقمتُ من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها، فلما أصبح عليه الصلاة والسلام أخبرته فضحك وقال: إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا[2].

ملاحظة

من هنا يتبين لنا أن بوله ودمه وسائر فضلاته صلى الله عليه وسلم، كلُ ذلك طاهر وإلا ما أقر عليه الصلاة والسلام شرب من شرب بوله ودمه ولم ينكر عليه.

---

(١) قال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٠: (رواه الطبراني في الأوسط ولم أر في إسناده من أُجْمِعَ على ضعفه).

(٢) قال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧١: (رواه الطبراني وفيه ابو مالك النخعي وهو ضعيف) وقال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ١/ ٣١: (أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم. . . وأبو مالك ضعيف ونبيح لم يلحق أم أيمن وله طرق أخرى رواها عبد الرزاق).

وبهـذا قطع القسطلاني في المواهب قـال: وبهـذا قـال أبو حنيفة رضي الله عنه، كما قال ذلك العيني وشيخ الإسلام ابن حجر رضي الله عنهم.

التبرك بآثاره الشريفة صلى الله عليه وسلم

وكـمـا تبـرك أصـحـاب النبـي صلـى الله عليـه وسلم بجسـده الشريـف تبركـوا أيضـاً بآثـاره، بكل مـالا مَسَ جسـده مـن ثيـاب أو غيـرهـا.. كـالمكـان الَّـذي كـان يجلـسُ فيـه وتـراب قبـره الـذي ضـمَّ جثمانَهُ الطاهر.

١ - أخـرج الإمـام مـسلـم وأبـو داود والنسـائي عـن أسمـاء بنـت أبـي بكر، رضـي اللـه عنهمـا: أنهـا أخـرجـت جبـة رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلَّم فـقالت: هذه كـانت عند عائشة رضي الله عنها فلمـا قبضـت قبضتهـا، وكـان النبـي صلـى اللـه علـيه وسلـم يلبسـها، فنحـن نغسلهـا للمـرضى نستشفي بها.

٢ - وأخـرج الإمام أحـمد رضي الله عنه عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم سليم وفي البيت قربة معلقة فشرب صلى الله عليه وسلم مِنْها قال أنس: فقطعت أم سليم فم

القـربـة فـهـو عندنـا نتـبـركُ بمـا لا مس فم النبي صلى الله عـليـه وسلم[1].

٣ - وفي كتب السيرة أن السيدة الزهراء رضي الله عنهـا بعد أن دفن الحـبـيب صلى الله عليـه وسـلم أخـذت من تراب الـقـبـر الكريم ووضعته على وجهها وقالت:

مـاذا على من شمَّ تُرْبةَ أحـمـد

ألاَّ يشمَّ مَـدى الزمـان غـواليـا[2]

٤ - وفي طبـقـات ابن سـعـد عن ابن قُـسيط والـعـتبى: كـان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجُد جسوْا

---

(١) أخرجه عن أم سلمة أحمد في المسند ٦/ ٤٣١ ط دار صادر، وعند الترمذي في الشمائل برقم (٢٠٥) ط دار إحياء التراث العربي. وأخرجه الطحاوي في مُـشكل الآثار (٢١١٠). والطبـراني في الكبـيـر ٢٥/ ١٢٦ رقم ٣٠٧ وأخرجه مثله عن كبشة رضي الله عنها الترمذي وقال هذا حـديث حسن صحيح غريب وبن ماجه ٢/ ١١٣٢ رقم ٣٤٢٣ والحميد في مسنده ١/ ١٧٢ رقم ٣٥٤ والطبـــراني في مـــسند الشـــامـــيين ١/ ٣٦٩ رقم ٦٣٩ وفي الكبير ٢٥/ ١٥ رقم ٨.

(٢) وبعده قولها:

صُـــبَّتْ عليَّ مـــصـــائبٌ لوأنَّهـــا

صُـــبَّتْ على الأيام صِـــرْنَ لـيـــاليـــا

انظر: أعلام النساء لعمر رضا كحالة ص ١١٣ ط مؤسسة الرسالة.

رُمَّانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم تبركاً وتوسلاً ثم استقبلوا القبلة يدعون[1].

٥ - وروى ابن سعد أيضاً عن عبد الرحمن بن عبد القادر: أنه رأى ابن عمر رضي الله عنهما واضعاً يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، ثم وضعها على وجهه. كما روى عنه أيضاً أنَّه كان يضع يده على رمانة المنبر مكان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمسح بِهَا وجهه[2].

٦ - ثبت أيضاً أن بلالاً رضي الله عنه يوم أن عاد من الشام إلى المدينة أخذ يمرغ خديه على عتبات الحجرةِ النبوية، ويبكى بمحضرٍ من الصحابة ولم يُنْكِر عليه أحد[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٥٤ ط دار صادر.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٥٤.

(٣) تاريخ دمشق - اختصار ابن منظور الإفريقي - ٥/ ٢٦٥ ط دار الفكر (١/ ١٤٠٤هـ).

التابعون بإحسان لأصحاب النبي ﷺ
يتبركون بأثار نبيهم ﷺ وغيره من الصالحين

١ - نقل الحافظ العراقي في «فتح المتعال» بسنده أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه أجاز تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره تبركاً قال: وعندما رأى ذلك الشيخ ابن تيمية عجب، قال: وأي عجب في ذلك وقد روينا أن الإمام أحمد رضي الله عنه تبرك بالشرب من ماء غُسْلِ قميص الإمام الشافعي[1].

---

(٢) في هذه الفقرة وهمان الأول: نسبة «فتح المتعال» للحافظ العراقي وهو مُجرَّدُ وهْمٍ، والصحيح أنَّه للعلامة أحمد المقَّري المغربي صاحب إضاءة الدجنةْ في اعتقاد أهل السنَّة، ونفْح الطيب في تاريخ الأندلس (ت ١٠٤١هـ) واسم كتابه هذا فتح المتعال في وصْفِ النِّعالْ.

الثاني: أن الكلام المنقولَ عن الحافظ العراقي لم يُنْقل عنهُ بسنده كما في فتح المتعال ص٤٨٠ ط دار القاضي عياض بالقاهرة ١٤١٧هـ وانظر بخصوص نسبةِ جواز تقبيل القبْر الشريف للإمام أحمد بن حنبل كتاب ابنه عبد الله، الجامعَ في العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٢٢ رقم (٢٥٠) طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، وانظر تحقيق أخينا الشيخ أديب الكمداني لكتاب تهذيب النفس لابن عبد الهادي الحنبلي ص ٨٥ ط٢ مطبعة الفجر دمشق وانظر كتاب الردِّ المحكم المتين للسيد المحدّث عبد الله بن الصديق ص ٢٧٣.

٢ - وفي «الحكايات المنثورة» للإمام المحدث الضياء المقدسي: أن الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي أُصيب بُدمَّلِ أعجزه علاجه فمسح به قبر الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه تبركا فبرئ[١].

٣ - وفي «تاريخ الخطيب» أن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مدة إقامته بالعراق وكان يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيءُ إلى قبره في كل يوم فإذا عرضت لي حاجة صليتُ ركعتين وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني[٢].

وفيه أيضا أن الحسن بن إبراهيم الخلال أحد أئمة الحنابلة قال: ما أهمّني أمر فقصدت قبر موسى الكاظم رضي الله عنه إلا سهل الله تعالى لي ما أحب[٣].

---

(١) الحكايات المنثورة للحافظ ضياء الدين المقدسي ت ٦٤٣هـ مخطوط بمكتبة الظاهرية بدمشق رقم (٣٨٣٤) نقلاً عن تعاليق الشيخ أديب الكمداني على كتاب تهذيب النفس ص٨٣ الآنف الذكر.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/ ١٢٣ ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٢٠.

إن النصوص الشرعية، على هذا أكثر من أن تحصى ولا نريد أن نطيل خشية السآمة وإنما نكتفي بما ذكرناه ولكني في النهاية أقول:

بعد هذا السيل الغامر الكاسح من النصوص والذي يقذف بالحق على الباطل فيدمَغُه هل بقيت هناك شبهة لمعترض على جواز التبرك بالأنبياء والصالحين وآثارهم والأمكنة المقدسة المباركة؟

لقد أسفر الفجر وظهر الحق ووضح النهار لكل ذي عينين ولم يبق علينا إلا أن نتساءل ما هو مستند الذَّين يحرمون التبرك؟ وما دليلهم؟ وما حجتهم في الإنكار على المتبركين؟

والأمر سهل وبسيط إن شاء الله تعالى.

إن الذين يحرمون التبرك لا مستند لديهم ولا حجة عندهم ولا دليل لهم على ما يقولونه!! وإنصافاً للحق نقول: لقد خيمت على عقول القوم شبهة واهية مظلمة ساقطة أوهى من بيت العنكبوت..!!

فهم يقولون: إن التبرك بالمخلوق شخصاً كان أو غيره اعتقادٌ

للنفع والضر في هذا الشيء المتبرَّك به واعتقاد النفع والضرِّ في غير الله شرك . . فالتبرك بالمخلوق إذن شرك . . . ! !

وهكذا بثلاث كلمات أخرجوا المتبركين من حظيرة الإسلام ورموا بهم بعيدا عن دائرة التوحيد ! !

والحق أن مستَنَد القوم هذا ساقطٌ وفاسدٌ .

أما سقوطه فلأمرين :

الأمر الاول : أن ماذكروه في تحريم التبرك دليل منطقي وقياس عقلي ، وقضية التبرك قضية شرعية والقضايا الشرعية إنما يُسْتَدَل عليها بالنصوص الشرعية لا بالأقيسة العقلية . فهل عند المانعين نص من كتاب أو سنة يمنع التبرك ويحرمه ؟ ؟ .

الإجابة : صَمْتُ القبور وسكوتُ الأبد . . ! !

الأمر الثاني : إنما يكون اللجوء إلى القياس عند من يقول به في القضايا الشرعية الاجتهادية عند فقد النص ، أما وإن النصوص كثيرة ومتوفرة فمتى وجد النص فقد بطل وسقط القياس .

وأما فساد ما ذكروه فإن كل مسلم يشهد أن لا إله إلا إلله وأن

محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم - على بصيرة - يؤمن تمام الإيمان أنه لا نافع ولا ضار إلا الله، وأنه سبحانه وتعالى وحده المنفرد بالفعل والتأثير، ويؤمن مع هذا أن نامَوس الحكمة الإلهية اقتضى أن تجري قضاءات الله تعالى ومقاديره في أنابيب الأسباب، وأن هذه الأسباب توثر وتنفع وتضر لا بنفسها وإنما بربها، وعلى سبيل المثال:

النار محرقة بربها لا بنفسها، الماءُ يروي بربه لا بنفسه، الطعام يشبع بربه لا بنفسه، الدواء يشفي من المرض بربه لا بنفسه، وهكذا.

وهذا ما قرره الشرع الكريمُ، فقد أثبتَ الحق تعالى الضرَّ للأعداء، قال عزوجل ﴿لَنْ يضروكم إلا أذى﴾ [سورة آل عمران: آية ١١١] وهناك قاعدة شرعية أصولية تقول: لا ضرر ولا ضرار:[1] وهناك حديث شريف: من استطاع أنْ ينفع أخاه فليفعل[2]. . إلخ.

---

(١) وهو حديث نبوي أخرجه البيهقي في السنن ٦/ ٦٩ رقم ١١١٦٦ وقال العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٤٩١ رقم ٣٠٧٥: (رواه مالك والشافعي مرسلاً وأحمد وعبد الرزاق وبن ماجه والطبراني عن ابن عباس وفي سنده جابر الجعفي وأخرجه ابن أبي شيبة عنه وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة وجابر وعائشة وغيرهم).

(٢) مسلم ١/ ٢١٦ رقم ٢١٩٩ وابن حبان ٢/ ٢٩٠ رقم ٥٣٢ و١٣/ ٤٥٧ رقم=

وعليه فنحن حينما نتبرك لم نفعل - كما يتصور البعض - ما ينافي التوحيد. . وإنما أخذنا بالأسباب، ومشينا مع نظام ومنطق الحكمة، وتواءمنا مع ما قرره الشرع الحنيف، وما شاء أن تكون في هذا كله شائبة شركية تعكر صفو التوحيد الخالص لله رب العالمين. . بقيت كلمة أخيرة:

إن مسألة التبرك بين المجيزين والمانعين لا تعدو في الحقيقة دائرة الجواز والندب أو الكراهة.

فالمجيزون للتبرك لم يوجبوه في الدين، ولم يفرضوه على الناس، ولم يُلزموا به أحداً، وكذلك لم نجد أحداً من أئمة هذه الأمة المحققين صنّف التبرك في قائمة الكبائر التي توعّد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها بالعذاب الشديد، أو اللَّعن والطرد من رحمة الله.

وعليه فمن تبرك فلا ضَيْرَ، ومن ترك التبرك فلا وزَر. . !!

فعلامَ إشعال جحيم الفتنة، وإذكاء نار الخلاف، وتفرقة كلمة الأمة، وشق صفّها في هذا الوقت الذي نحن أحوج ما

= ٦٠٩١ و ١٣/ ٤٦٣ رقم ٦٠٩٧ والحاكم ٤/ ٤٦٠ رقم ٨٢٧٧ والنسائي في السنن الكبرى ٤/ ٦٦٦ رقم ٧٥٤٠.

نكون فيه إلى لَمِّ الشمل، وجمع الصف في مواجهة عدوٍّ يضرب بمعاوله في صرح وجودنا، ويعمل مجتهداً في إبادتنا، واقتلاعنا مِنْ جذورنا، ونحن مشغولون عنْهُ بهذه القضايا الفرعية التي ليست من أركان الإسلام ولا من أساسياته؟ وهل يسوغ ذلك في منطق العقل والشرع؟.

إنها وسيلة شيطانية، نعوذ بالله منها، نبَّه عليها المعصوم صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون... ولكن في التحريش بينهم»[1]...!!

أما آن الأوان أن تطوى هذه الصفحة السوداء، وأن يضع كل مسلم يده في يد أخيه المسلم مناصراً ومآزراً، ومجاهداً أعداء الله تحت راية لا إله إلا الله ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ [سورة الروم: آية ٤]؟؟؟.

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٦ كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه حديث رقم (٢٨١٢) وأحمد في مسنده عن جابر ٣/ ٣١٢ رقم (١٤٣٦٦) و٣/ ٣٥٤ رقم (١٤٨١٦) وفيه ٢/ ٣٦٧ رقم (٨٨١٠) من حديث أبي هريرة وفي شعب الإيمان (٧٢٦٧).

الرسالة الثالثة:

الرد على من منع

التوسل والتبرك

لفضيلة الشيخ

الدكتور/عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري

المدير العام لدائرة أوقاف دبي

الرد على من منع التوسل والتبرك

مما أثار عجب ودهشة أهل العلم والمعرفة مقالٌ لسماحة المفتي العام للإدارة والبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية سابقاً ولا سيما عند من يكنون له الاحترام والتقدير، وذلك المقال منشور بجريدة «المسلمون» في عددها ٥٦٣ الجمعة ٢٤ جمادي الثانية ١٤١٦هـ الموافي ١٧ نوفمبر ١٩٩٥م تحت عنوان: ابن باز يبين بعض أحكام التوسل والتبرك. حيث ذهب في مقاله مذهباً شاذاً عن السواد الأعظم للأمة الإسلامية على ممرِّ عصورها.

فقد أخطأ سماحة الشيخ رحمه الله تعالى بتلك الفتوى في حق الشريعة الإسلامية، بل وفي حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وفي حق الأمة الإسلامية صاحبة الرسالة السمحاء، غفر الله لنا وله. وقبل أن أدخل في الردِّ على تلك الأخطاء أود أن أبتدئ ببعض الأسئلة.

ملاحظة: هذه الردود كتبت في حياة الشيخ ابن باز وكنا نود أن تظهر وهو على قيد الحياة لعله يرجع عن هذه الآراء ولكنَّ كثرة الأعمال والمشاغل حالت دون ذلك. ثم عدلت الرسالة بعد وفاته رحمه الله تعالى.

ما هو الفرق بين العبادة والقربة؟ وهل يعتبرُ التبرك عبادة؟ وإن اعتبره كذلك فأين مستَنَدُه؟ وهل تَفَرّدَ بعلمٍ وفقهٍ يفوق علم وفقه ابْنِ عمر رضي الله عنهما[1]؟ وهل وصل إلى درجة الاجتهاد وأقرَّتْ له الأمة بذلك؟ وهل يُحْسِنُ الظن في أمة الإسلام ويرجو لها الخير، أم يرى نفسه ومن وافقه الفرقة الناجية، والأمة كلها من أهل الجحيم؟؟.

وبعد، ،

أما عن قوله بأن التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسلم خاص به، ولا يتعداهُ إلى غيره من السلف الصالح فهذا تخصيص من غير مخصِّصٍ، لم يقل به عالم واحد من علماء الأمة الإسلامية، وهذه كتب السلف الصالح بين أيدينا تكذِّب زعمه وتفضح مقالته، فقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله باباً في ذلك بجواز استعمال فضل وَضوء الناس «المسلمين»،

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/ ١٨٦ أن سيدنا ابن عمر كان يتتبع آثاره صلى الله عليه وآله وسلم في كل مسجد صلى فيه وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض ناقته فيه، وكان لا يترك الحج فكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمر جرير بن عبد الله أهله أن يتوضؤا بفضل سواكه، فهل سماحة الشيخ، رحمه الله تعالى، أفقهُ من الإمام البخاري، ومن جرير بن عبد الله وابن عمر رضي الله عنهما في فهم نص الشارع؟.

وقد ثبت عن كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على مشروعية التبرك واستحسانه، والتماسه بعضهم من بعض[1]، ويكفي دليلاً على ذلك دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لمن شربوا في إناء واحد، وقد تبارك الإمام الشافعي واستشفى بقميص الإمام أحمد، كما جاء في البداية والنهاية (١٤/ ١٧١) وهو أجدر بفهم السنة من سماحة المفتي رحمه الله.

بل إن القرآن الكريم نقل لنا صوراً عظيمة من التبرك وعظيم فائدته، فهذا قميص يوسف وعظيمُ أثره وفائدته، فحينما

---

(١) أخرج البخاري في كتاب اللباس في (باب القبة الحمراء من أدم) ١٠/ ٣١٣ رقم ٥٨٥٩ بإسناده إلى أبي جحيفة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في قبة حمراء من أدم (جلد) ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والناس يبتدرون الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه.

ألقي على وجه يعقوب ارتدَّ بصيراً كأن لم يكن به ضُرٌّ من قبل، فيالها من بركة عظمى وأكرم به من قميص.

وكذلك بنو إسرائيل كانوا يتبركون بالتابوت الذي فيه نعال سيدنا موسى عليه السلام وعصاه ـ كما قال تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٨] فقوله تعالى: تحمله الملائكة أي تحفه وتحفظه وتحيط به ولم يعبر بهذه الكلمات واستعاض عنها بقوله تحمله الملائكة لما في البركة من أثر قوي للمتبرك به لاتصال الأثر بصاحب الأثر لما في التبرك من أثر حامل على الخير إن كان أثر خير أو حامل على الشر إن كان أثر شر فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا وكان ذلك إشارة لأمته بالتأسي والاقتداء لأنه القدوة المثلى، والأسوة الحسنة، والتطبيق الحي للقرآن الكريم[1].

---

(١) وهل السنة إلا أقوال وأفعال وتقريرات، والتبرك حاصل بهذه الأنواع الثلاثة وهذا ما لا يتوافر إلا في القليل النادر من السنن كالصلاة في النعال.

أما الأقوال:

وهو أمره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فكثير منه: ماروواه الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «كنت عند =

= النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلالٌ فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني فقال له أبشر فقال: قد أكثرت علي من أبشر فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: رد البشرى فأقبلا أنتما، قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماءٌ فغسل يديه ووجه ومجّ فيه ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم أشربا منه وأفرغا على وجهكما ونحوركما وأبشرا فأخذا القدح ففعلا فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة». رواه البخاري في كتاب المغازي في غزوة الطائف ٨/ ٤٦ رقم ٤٣٢٨ ومسلم في فضائل أبي موسى الأشعري ٤/ ١٩٣٤ رقم ٢٤٩٧.

وأخرج أبو عوانة في صحيحه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الحلاق فحلق رأسه ودفع إلى أبي طلحة الشق الأيمن، ثم حلق الشق الآخر فأمره أن يقسمه بين الناس».

رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن عينية عن هشام بن حسان عن ابن سيرين بلفظ: (لما رما الجمرة ونحر نسكه ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة فأعطاه إياه ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أقسمه بين الناس».

أما الأفعال:

فأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل «باب قرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الناس وتبرّكهم به» عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها.

وأما التقريرات:

فأخرج البخاري في صحيحه في كتاب الشروط في قصة صلح =

أما ما كان خاصاً به فقد أشار إليه صلى الله عليه وسلم ووضحه كالوصال في الصيام، فإنه خاصٌ به، وقيام الليل فرضٌ في حقه، نفلٌ لأمته.

= الحديبية ٥/ ٣٣٠ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢ : (أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا تنخّم أخذ الصحابة نخامته ودلكوا بها وجوههم وأجسادهم وهو ينظر اليهم، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير عن أبي رهم في حديث عن أبي أيوب أنه قال: «قلت يا رسول الله كنت ترسل الي بالطعام فأنظر فأضع أصابعي حيث أرى أثر أصابعك حتى كان هذا الطعام؟.

قال أجل إن فيه بصلاً فكرهت أن آكل من أجل الملك، وأما أنتم فكلوا».

وأصل الحديث في صحيح مسلم في كتاب الأشربة ٣/ ١٦٢٣ رقم ٢٠٥٣ وفيه ذكر الثوم بدل البصل.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٨/ ١٧١ : أخرج ابن سكن من طريق عبد الملك بن حسين عن نافع بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن - وهي أم أيمن بركة حاضنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قالت: كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فخارة يبول فيها في الليل، فكنت إذا أصبحت صببتها، فنمت ليلةً وأنا عطشانه فغلطت، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنك لا تشتكين بطنك بعد يومك هذا.

أخرج مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ رقم ٢٣٢٥ عن أنس رضي الله عنه قال: «لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلا في يد رجل».

والمؤمن له عند الله حرمة، لأن البركة قد حلت فيه، فهو إنسان مبارك، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «لذهاب الكعبة عند الله أهون من إزهاق نفس مؤمنة» فكل مؤمن تُرْجى بركته، ولذا ذكر ابن حجر في فتحه بروايات صحيحة: أن الناس يستشفون بوَضوء المؤمنين لاجتماع البركة، وما معنى البركة يا ترى؟ البركة أُخذت ـ لغةً ـ من مبرك الشيء أي كمبرك الناقة ـ وهي بمعنى الحلول والتنزّل مع الالتصاق، فالمؤمن الموحد انصقلت روحه فأصبحت مباركة، تبارك الجسد بها، ومن كرم الله أن البركة لا تنزع إلا بالفسوق.

أما عن اتهامه ابن عمر بأن ذلك فعلٌ خالف فيه أباه، فهذه زلة من الشيخ رحمه الله، فابن عمر وما أدراك ما ابن عمر؟ فهو الصحابي الجليل الحافظ الذي قال عنه أبو هريرة: ما سبقني أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان من ابن عمر، فإنه كان يحفظ ويكتب وكنت أحفظ، فهو الحريص على دينه وقد امتدحه رسول الله ومات وهو عنه راض.

ومن أين لسماحة الشيخ رحمه الله الحق بأن يقرر أمراً لم يثبت؟ وحتى لو صح ما قاله من أن عمر خالف ابنه..

أليس هما صحابيان فاضلان، وقد اختلف كثير من الصحابة، بعضهم مع بعض ولكلٍ وجهة ورأي، ولم يثبت عن عمر أن انتقد ابنه في استلامه للمنبر أو لرمانة المنبر، وقد سئل الإمام أحمد عن قول الإمام مالك بكراهة استلام القبر الشريف فأجاب بقوله: لعله رآه إساءةَ أدب، ولكن إذا فعله المؤمن بفرط شوق وحب، يثاب على ذلك. . انظر كتاب العلل[1]، ومعجم الشيوخ للذهبي (١/ ٧٣).

وأود أن أذكر هنا: كيف ينكر عمر على ابنه ذلك، وهو الذي سأل الله أن ينزل قرآناً في اتخاذ مقام إبراهيم مصلى؟ وما ذلك إلا تبرك بآثار سيدنا إبراهيم عليه السلام. والقرآن عظَّم ذلك، واعتبر أن من يعظم البركة التي هي من شعائر الله دليلٌ على تقوى القلوب.

ثم كيف ينقل خبراً غير صحيح في حق عمر رضي الله عنه ويدعي بأنه قطع شجرة الرضوان؟؟ لأن هذه الرواية قد أوردها ابن سعد في طبقاته بسند منقطع، فقد رواها نافع عن عمر ونافع

---

(١) الجامع في العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٢٢ ط مؤسسة الكتب الثقافية.

لم يلتق بعمر بن الخطاب، ونافع يرويها عن جابر، وجابر توفي سنة ٧٨هـ، ورحلة عمر كانت ٢٣هـ فكيف يكون عمر قد قطعها وجابر المتوفى سنة ٧٨هـ يصرح بأنه يعرف مكانها ولو كان مبصراً لدلّ الناس على مكانها؟؟ .

ثم إن سماحة الشيخ رحمه الله يبدّع كثيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويَسِمُهم بالشرك وذلك بصريح عبارة: «إن كل من يستلم الأركانَ الأربعة للكعبة مشرك ضال. . . » ولا أتهمه بذلك، وفي اعتقادي أنه ربما موِّه عليه الأمر فأخطأ كاتبه، وإلا لا أظنه تفوتُه رواية البخاري في صحيحه والتي عقد لها البخاري باباً: باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين ص(٢٩٤).

ويفهم من عبارة سماحته رحمه الله: «وعلمهم - يعني الصحابة غير ابن عمر - موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة» أن علم ابن عمر غير موافق للسنة النبوية وهو الذي كان يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم!! فأعجب كل العجب من ذلك، وأما اعتباره دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم شرك أكبر - وهو عينه شرك عبدة الأوثان والأصنام فتخليطٌ لا يليق بمقام الشيخ .

الرسالة الرابعة:

الرد على من أنكر سماع الموتى

لفضيلة الشيخ

الدكتور/عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري

المدير العام لدائرة أوقاف دبي

الرد على من أنكر سماع الموتى

نشرت جريدة «المسلمون» في عددها رقم (٥٦٤) الصادر يوم الجمعة ٢ رجب ١٤١٦هـ مقالاً لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى[1] تحت عنوان (الموتى لا يسمعون) وهو جواب لسؤال: هل الميت يَشْعُرُ بالزيارة له؟ وهل يسمع الدعاء له؟.

فأجاب بما نصه: لا أعلم دليلاً من الكتاب والسنة يدل على ذلك، بل ظاهر القرآن الكريم يدل على عدم سماع الموتى للسلام عليهم، لقوله سبحانه: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ [سورة فاطر: آية ٢٢] وقوله عز وجل: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [سورة النمل: آية ٨٠].

أما ما ورد من سماع قتلى بدر الذين طرحوا في القليب لكلامه صلى الله عليه وسلم حينما قال لهم: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقا...» إلى أن قال: «هذا خاص بهم عملاً بهذا الحديث الصحيح».

---

(١) كتبت هذه الرسالة قبل وفاة الشيخ رحمه الله تعالى ثم عُدّلت بعد ذلك.

«وهكذا قوله صلى الله عليه وسلم عن مشيعي الجنازة إذا انصرفوا عنه: «إنه ليسمع قرع نعالهم» يعني الميت، خاص لا يُقَاسُ عليه، وهو مستثنى من الآيتين المذكورتين».

وخلص في نهاية رده إلى أن الأصل عدم سماع الموتى لكلام الأحياء إلا ما خصّه الدليل كما جاء في الحديثين المذكورين.

ونقول وبالله التوفيق:

إن كلام سماحة الشيخ رحمه الله يثيرُ الدهشة والعجب، حيثُ صدر من أمثاله، لأن المفتي بكريم علمه ينبغي أن يكون واسع الأفق، ولو سُلِّمَ جدلاً أن هناك في عالمنا المعاصر رجلاً بلغ درجة الاجتهاد فلن يصدر عنه تناسي أقوال من سلفه من العلماء، لأن اقتراف مثل ذلك تمويهٌ على الأمة وجحود لمنهجها الأصلي.

وواقع الأمر في المسألة أن كافة أهل العلم يخالفون ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله من عدم سماع الموتى، ولم يوافقه في

ذلك إلا الدهريون الذين يعتقدون: (إنما هي أرحام تَدْفَعُ وقبور تَبْلَعُ وألا بَعْثَ بعد الموت).

والأصلُ الذي تُبنى عليه شهادة أن لا إله إلا الله يتضمن الإيمان بالبعث بعد الموت، وأن الحياة للبقاء لا للفناء، فالقول بعدم سماع الموتى مناف لعقيدة التوحيد ولأصل الإيمان بالغيب، لأنه أمر قطعي لا يعارضه ما تَوَهَّمه من اختياره لتفسير الظواهر القرآنية بمعنى لم يقل به أحد من قبله.

وقبل أن ندخل في أقوال العلماء الذين يرُدُّون مقالة الشيخ رحمه الله أوَدُّ أن أستفسر، ماذا نقول فيما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى من أحوال تاركي الصلاة... وخلافه؟

هل تلك الأحوال التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية للمَرْئِيِّينَ؟؟

لا أظُنُّ أن يقول عاقل بذلك ولكن الخصوصية للرائي لا للمرئي، وإلا كان ذلك ظلماً للأمة حيث يعذب قوم دون قوم.

والحاصل في أمرهم أن الله سبحانه وتعالى كشف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مآل الأرواح بعد انتقالها لأجل أن يُحَذِّر أمته من مغبة الوقوع في مثل تلك الأفعال.

ونخلص في هذه المسألة إلى أن الأرواح بعد انتقالها إما أن تُنَعَّم أو تُعَذَّب لقوله سبحانه: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر...﴾[سورة السجدة: آية ٢١] وقوله سبحانه في قوم فرعون ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾[سورة غافر: آية ٤٦] فالعرض هذا حاصل في البرزخ. أما استدلاله بالآية الكريمة: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [سورة النمل: آية ٨٠] فقد كفانا مؤنة الرد فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) إذ قال في ص (٤١٦) ما مُحَصَّله: «إن المراد بالموت في الآية موت الكفر والشقاق، لا موت مفارقة الروح للبدن، ولو كان المراد مفارقة الروح للأبدان لما قابل قوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ بقوله: ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾

[سورة النمل: آية ٨١] بل لقابله بما يناسبه كأن يقال: «إن تسمع إلا من لم يمت، أي: يفارق روحه بدنه».

اعلم أن استقراء القرآن العظيم يدل على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾ [سورة الأنعام: آية ٣٦] وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم أن المراد بالموتى في قوله تعالى: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ الكفار، ويدل له مقابلة الموتى في قوله: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ بالذين يسمعون في قوله: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ ويوضح ذلك قوله تعالى قبله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية﴾ [سورة الأنعام: آية ٣٥] أي: فافعل، ثم قال: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين إنما يستجيب الذين يسمعون. . .﴾ الآية.

وهذا واضح فيما ذكرنا، ولو كان يراد بالموتى من فارقت أرواحهم أبدانهم لقابل الموتى بما يناسبهم كأن يقال: إنما

يستجيب الأحياء؛ أي: الذين لم تفارق أرواحهم أبدانهم، وكقوله تعالى: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ [سورة الأنعام: آية ١٢٢].

فقوله تعالى: ﴿أومن كان ميتاً﴾: أي كافراً، فأحييناه: أي بالإيمان والهدى، وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت وإرادة الكفر بلا خلاف». اهـ.

وقد استعرض الشيخ رحمه الله في مثل ذلك أمثلة كثيرة تؤكد هذا المعنى إلى إن قال: (والتفسير الثاني: هو أن المراد بالموتى: الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسماع المنفيَّ في قوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ خصوص السماع المعتاد، الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مَثَلٌ ضُرب للكفار، والكفار يسمعون الصوت، لكن لا يسمعون سماع قَبُول بفقه واتباع كما قال تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً﴾ [سورة البقرة: آية ١٧٠] فهكذا الموتى الذين ضُرِب

بهم المثل لا يجب أن ينفى عنهم جميع أنواع السماع، كما لم ينف ذلك عن الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا، وهذا التفسير الثاني جزم به واقتصر عليه أبو العباس ابن تيمية رحمه الله).

واستطرد إلى أن قال: (اعلم أن الذي يقتضي الدليل رجحانه هو أن الموتى في قبورهم يسمعون كلام من كلمهم)[1].

وقد سبق الشيخ الشنقيطي في هذا الرأي جمهور المفسرين، كالقرطبي وابن كثير والفخر وغيرهم[2].

قلت: ومن ثَّم فإن كلا التفسيرين لا يساعد الشيخ رحمه الله فيما رآه ولا يؤيده فيما قاله، فإذا فسرنا الموتى بالكفار، فالأمر ظاهر، وإذا فسرنا الموتى بمن ماتوا فعلاً فإن المراد بالسماع المنفي هو سماع الهداية والتكليف لا مطلق السماع.

---

(١) أضواء البيان ٦/ ٤١٦ ـ ٤٢١ نشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤٠٨هـ.

(٢) قال ابن قيم الجوزية في كتابه الروح صفحة ٤٠: «سياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر الميت القلب لا يقدر على إسماعهم إسماعاً ينتفع به، كما أن من في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعاً ينتفعون به، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البتّة..».

أما دعوى الشيخ رحمه الله أنه ليس هناك دليل في السنة يدل على ذلك، وتخصيصه للأحاديث الصحيحة في ذلك كحديث القَليبِ وغيره، فهو زعمٌ باطلٌ مردودٌ لم يسبقه إليه أحد من أهل العلم، وفي عبارته خلط بَيِّنٌ، فكيف يَحقُّ له أن يقول باديء ذي بدء لم يثبت في السنة، ثم يثبت على نفسه أنه ثابت في السنة على التخصيص!؟ فَبِربّكم هل يحق في عبارة أهل العلم ذلك؟

كان على الشيخ رحمه الله أن يبين أنه ورد في السنة، ويسرد آراء أهل العلم، ثم يذكر رأيه في المسألة مرجحاً ما يراه مناسباً بالدليل، لا أن يعتبر رأيهُ هو فوق رأي أهل العلم السابقين واللاحقين، فهذه دعوى نعرفها من أخزم(١).

فتعالوا معنا لننظر فيما ثبت في السنة من أحاديث سماع الموتى:

---

(١) فيه تلميحٌ إلى المثل: «شنشنةٌ أعرفها من أخزم»، جاء في القاموس ٤/ ١٠٧ مادة «خزمه» وأبو أخْزم الطائي جد حاتم أوجدُّ جَدِّه، مات ابنه أخزم وترك بنين فوثبوا على جدهم فأدموه فقال:

إن بَنِيَ زملوني بالدَّم ... من يلق آساد الرجال يُكْلَمِ
ومَن يكن درْءٌ به يُقوَّم ... «شنشنةٌ أعرفها من أخزم»

والشنشنة الطبيعة أي أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخُلقه.

فقد بوب البخاري باباً: (باب الميت يسمع خفق النعال).

وأورد حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم...» الحديث[1]، ورواه أحمد[2] وأبو داود من حديث البراء بن عازب من خلال حديث طويل، فيه: «وأنه يسمع خفق نعالهم[3]»، وروى إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن أبيه عن أبي هريرة أن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين» أخرجه البزار وابن حبان في صحيحه[4] هكذا مختصراً.

وأخرج ابن حبان أيضاً من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه.

---

(١) البخاري مع الفتح كتاب الجنائز حديث (١٣٣٨) وأخرجه مسلم برقم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) مسند أحمد ٣/ ١٢٦ رقم (١٢٢٧١) من حديث أنس انظر نسخة الشيخ شعيب الأرنؤط وعنده من حديث البراء رضي الله عنه ٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٣) الحديث في أبي داود ٣/ ٢١٧ رقم (٣٢٣١) لكن من حديث أنس وفيه «قرع» بدل: خفق نعالهم.

(٤) صحيح ابن حبان حديث (٣١٢٢).

فلم يذكر الحافظ ابن حجر وغيره أن حديث خفق النعل خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه مغالطة[1]، فالخصوصية في سماع النبي، وإذا حمل على أن الخصوصية بما أوقعه الله بصاحب القبر فهو عبث من الخالق وتعالى الله عن ذلك، فلا مَفَرَّ من أن يقال إن الأمر واقع على الإطلاق، وإن الخصوصية في كشف الله للنبي عن حال ومآل صاحب هذا القبر وتحذير أمته من الوقوع في مثل ما وقع فيه كما هو الحال في علمه بصاحب القبرين اللذين يعذبان لكون أحدهما يسعى بالنميمة، والآخر لا يستبريء من البول.

فهل العذاب من الله وقع عليهما لمرور النبي صلى الله عليه وسلم عليهما؟ نعوذ بالله من هذا الظنِّ، فالنبي صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يكن نقمة، ولكنه حال حالٌّ بصاحبه أطلع الله النبي عليه ليخبر أمته محذراً، وكذلك الحال في واقعة أهل بدر.

---

(١) يجب ملاحظة أن حديث سيدنا أنس مرفوعاً: «العبد إذا وضع في قبره...» وحديث سيدنا أبو هريرة مرفوعاً أيضاً: «إن الميت ليسمع خفق نعالهم...» فالعبد والميت جاءا معرّفَيْنْ بالألف واللاّم وهو ما يفيد الاستغراق وذلك من صيغ العموم كما هو مبين في علمي أصول الفقه والمعاني وهو ما يبطل دعوى ابن باز بالتخصيص.

وقال الإمام النووي رحمه الله عند حديث خفق النعال:

(وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، وظاهره العموم في كل من دفن وتولى عنه قومه كما ترى) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٣٨٦)[1] كتاب المغازي عند تفسيره لتلك الآثار:

قال البيهقي: «العلم لا يمنع من السماع، والجواب عن الآية: أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا. . إلى أن قال: «إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك. وقال في كتاب الجنائز ص (٣٠٠) عند قوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ معناها: لا تسمعهم سماعاً ينفعهم أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (٩/ ٢٢٢ - ٢٢٥)[2] عند قوله صلى الله عليه وسلم في قتلى بدر: «ما أنت بأسمع ما أقول منهم» قال المازري: قال بعض الناس: الميت يسمع عملاً بظاهر هذا الحديث، ثم أنكر المازري وادَّعى أن هذا

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٠٣ ط دار المعرفة.

(٢) مسلم بشرح النووي ط دار أبي حيان على نفقة سموِّ الشيخ محمد بن راشد المكتوم ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

خاص في هؤلاء، ورد عليه القاضي عياض وقال: يحمل سماعهم على ما يحمل عليه سماع الموتى في أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون في الوقت الذي يريد الله، وهو الظاهر المختار الذي تقتضيه أحاديث السلام على القبور». اهـ.

قلت: وقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين. . . » الحديث.

وفي رواية عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون مسلم الجزء الثاني (٦٧٠) رقم الحديث ٩٧٤.

وقال ابن القيم رحمه الله في حديث: ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلمُ عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»: هذا الحديث ونحوه من الآثار يدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع سلامه، وأنس به ورَدَّ عليه، قال: وذا

عامٌّ في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في ذلك، قال: وذا أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت وقد شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم لأمته أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل».

وأفاد الحافظ العراقي أن ابن عبد البر خرجه في التمهيد والاستذكار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس، وممن صححه عبد الحق بلفظ: «ما من أحد يمرُّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»[1].

قال صاحب أضواء البيان: «هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أنهم يسمعون سلامه لأنهم لو كانوا لا يسمعون سلامه وكلامه لكان خطابه لهم من جنس خطاب المعدوم، ولا شك أن ذلك ليس من شأن العقلاء فمن البعيد جداً صدوره منه صلى الله عليه وسلم. .»اهـ.

---

(١) الاستذكار ٢/ ١٦٥ رقم (١٨٥٨) بلفظ: «ما من أحد مَرَّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» ط دار قتيبة للطباعة والنشر، وهو في كتاب الروح لابن القيم ص١١ دار الجيل بيروت لبنان ـ فيه من طريق ابن عبد البر، وكلام ابن القيم المنسوب إليه هنا هو في كتاب الروح بمعناه لا بلفظه الموجود هنا. انظر كتاب الروح ص٥.

قلت: وإذا زعم الشيخ رحمه الله بأن ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم فماذا يقول في فعل السيدة عائشة بالسلام على الأموات بإذن النبي صلى الله عليه وسلم وإذنه لكثير من أصحابه. . . أذلك خصوصية؟؟ إذاً لأصبح الدين كله خاصاً بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فِريةٌ لم يقل بها إلا أعداء الإسلام.

أما عن رواية السيدة عائشة رضي الله عنها التي تبين عدم سماع الموتى والتى ما كنت أتوقع أن يعتمدها الشيخ رحمه الله في فتواه لأن أهل العلم قد ردُّوها، فهذا صاحب أضواء البيان يرد قول عائشة عند تفسيره لسورة النمل ص٤٢١ وقد سبقه إلى ذلك عامة أهل العلم كابن حجر في فتحه (٣/ ٣٠١)[1].

وعلق على ذلك سماحة المحدث الجليل السيد عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله فأفاد وأجاد، حيث قال في كتابه الرد المحكم المتين ما نصه: «وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته السيدة عائشة رضي الله عنها والله أعلم. وارتكاب المجاز في الآية متعين للجمع بين الأدلة مع أن السياق

(١) ٣/ ٢٠٦ ط دار المعرفة.

يرشد إليه، وأما دعوى أن سماع أهل القليب كان خصوصية فهي مفتقرة إلى دليل وهو مفقود، ولو سلمت في هذا الحديث لم تسلم في حديث سماع خفق النعال وغيره مما سبق ذكره، وأما إنكار السيدة عائشة رواية ابن عمر فلا ينهض دليلاً في المسألة وذلك لوجوه:

الأول: أن ابن عمر شهد القصة والسيدة عائشة لم تشهدها وبالضرورة يُرَجَّح من شَهِد على من لم يشهد.

الثاني: أن ابن عمر مُثْبِت وعائشة نَافِية والمثبِتُ مُقَدَّمٌ على النافي لأن معه زيادةَ علم ليست عند النافي.

الثالث: أن السيدة عائشة لم تستند في نفيها إلى رواية تعارضُ رواية ابن عمر وتُبيّن وهْمَه، وإنما استندت إلى فهمها واستنباطها، ورواية الثقة لا تُرَدُّ بمثل ذلك، قال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل إلى ردِّ رواية الثقة إلا بنصٍّ مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرتْهُ وأثْبَتَهُ غيرها ممكن، لأن قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم:

«إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك». اهـ. كما ذكر الحافظ في الفتح وقد تقدم.

الرابع: أن ما أثبتته السيدة عائشة من العلم لا ينافي رواية ابن عمر التي أثبتت السماع بل يؤيدها، قال الإسماعيلي: وأما جوابها بأنه إنما قال: «إنهم لَيَعْلمون»، فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي السمع، فإذا جاز إثبات (العلم) للميت جاز إثبات (السمع) له ولا فرق بينهما كما هو ظاهرٌ لا يحتاج إلى بيان.

والخامس: أن ابن عمر لم ينفرد بتلك الرواية التي أنكرتها عائشة، بل رواها أيضاً: أبوه عمر بن الخطاب وأبو طلحة الأنصاري، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سيدان[1]، ومن المستبعَد جداً أن يكون هؤلاء كلهم واهمين.

والسادس: أن عائشة نفسها رَوَتْ مثل ما روى ابن عمر

---

(١) عبد الله بن سيدان المطْرَوْدي من بني سُليم قال ابن عديٍّ له حديثٌ واحدٌ وهو شبه المجهَول قيلَ بصحَبته وعَدَّه ابن حبَّان في التابعين، انظر الإصابَة ٦/ ١١٥ رقم (٤٧٣٠) وأُسدُ الغابة ٣/ ١٨٢، ط دار إحياء التراث العربي.

قال الحافظ: ومن الغريب أن في (المغازي) لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة، وفيه: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». وأخرجه أحمد بإسناد حسن[1].

فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار لِمَا ثَبَتَ عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشْهَد القصّة». اهـ[2].

ومن هذه الخلاصة الوجيزة الصحيحة تعلم أن سماع الموتى بعد عَوْد الروح إليهم صحيح لا غبار عليه، وأنه لا تعارُض بين الآية والأحاديث الواردة في ذلك[3]، بل بينهما توافق وتعاضد،

---

(١) فتح الباري ج٧/ ص٣٠٣ـ ٣٠٤ طبع دار المعرفة ببيروت.

(٢) كتاب الرد المحكم المتين، على كتاب القول المبين ٢٣٧ـ ٢٣٨ ط٢ بمصر ١٣٧٤ـ ١٩٥٥م مطبعة العهد الجديد، وهو ردٌّ من قبَل صاحبه السيد المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري ت١٤١٣هـ على كتاب «القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والأولياء والصالحين» للمسمى، محمد محمد مخيمر، الجاعل تحت اسمه عبارة: «من علماء الازهر» وضعه سنة ١٣٥١هـ وطبع بمطبعة طنطا بمصر في ٥٦ صفحة صغيرة.

(٣) قال علامة الهند محمد أنور الكشميري: رحمه الله تعالى: في كتابه مشكلات القرآن عند قوله تعالى في سورة النمل ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾.

سماع موتى كلام الخلق قاطبة ... قد صح فيه لنا الآثار في الكتب
وآية النفي في نفي انتفاعهم ... لا يسمعون ولا يصغون للأدب

وأن المانعين لسماع الموتى ليس لديهم مُتَمَسكٌ قويٌ وأن إنكار عائشة ليس بدليل» . اهـ .

المحتويات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة.....	٥
الرسالة الأولى: شجرة الرضوان.....	٧
إلى متى بقيت الشجرة وما فعل بها؟.....	٩
هل قطع الشجرة عمر أو أمر بقطعها رضي الله عنه؟.	١٣
الرسالة الثانية: مفهوم التبرك وحكمه في ضوء الكتاب والسنة.....	٢١
محتويات البحث.....	٢٣
مستند المانعين للتبرك.....	٢٤
البركة في اللسان العربي.....	٢٤
الله عز وجل يصف نفسه بالبركة.....	٢٥
أشخاص باركهم الله.....	٣٠
أمكنة وأزمنة باركها الله.....	٣١
أشياء أخرى باركها الله.....	٣٢

المحتويات

الموضوعات	الصفحة
أدلة الجواز من القرآن الكريم	٣٤
قميص يوسف عليه السلام	٣٦
ملاحظة	٣٨
زكريا عليه السلام	٣٨
أدلة الجواز من السنة الشريفة	٤٠
النبي ﷺ يتبرك	٤٠
أصحاب النبي ﷺ يتبركون بنبيهم ﷺ	٤٢
التبرك ببطنه ﷺ	٤٢
التبرك بيده الشريفة ﷺ	٤٣
التبرك بريقه ﷺ	٤٤
التبرك بشعره وعرقه ﷺ وماء وضوئه ﷺ	٤٥
التبرك بنخامته ودمه وبوله ﷺ	٤٨
ملاحظة	٥٠

المحتويات

الموضوعات	الصفحة
التبرك بآثاره الشريفة ﷺ	٥١
التابعون بإحسان لأصحاب النبي ﷺ يتبركون بآثار نبيهم ﷺ وغيره من الصالحين.....	٥٤
الرسالة الثالثة: الرد على من منع التوسل والتبرك...	٦١
الرسالة الرابعة: الرد على من أنكر سماع الموتى....	٧٣
الفهرس.....	٩٣